العالمية والبعد الإنساني في روايات أمين الزاوي

د.حمزة قريرة ، أستاذ محاضر
جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

الملخص:

يعد خطاب أمين الزاوي الروائي عبر مختلف مراحله رسالة موجّهة وخطابا يؤسس لأفكار وأطروحات خاصة، حيث ناقش الكثير من القضايا ذات البعْد الإنساني والعالمي، كالهوية والمعايير الأخلاقية، والتعايش بين الأديان، وإعادة قراءة حيادية للتاريخ، وحوار الثقافات وغيرها من القضايا، وتعد هذه القضايا من أهم الطرائق التي أوصلت الروائي للعالمية إضافة لكتابته بلغة وفكر الآخر... وعبر هذه الورقة البحثية سأحاول تسليط الضوء على بعض المظاهر العالمية والإنسانية في كتابات الزاوي من خلال موضوعاته من جهة وتقنيات كتابته من جهة أخرى فالعالمية والإنسانية عند الزاوي ليست ألقابا وجوائز بقدر ما هي خطاب مختلف يجعل الإنسانية تُقرأ بشكل مغاير وتتذوق الكتابة مهما اختلفت أيديولوجيا وثقافيا، وهذا سر العالمية، فالاختلاف مهما كان كبيرا تجمعه الكتابة والتذوّق، وهو سر نجاح الروائي وغيره ممن طرقوا أبواب العالمية، بهذا سيتم التركيز على أهم الموضوعات العالمية التي طرحها خطاب الزاوي، كما سأشير إلىتقنيات الكتابة لدى الروائي وكيف قدّم نصا مفعما بالحياة ومثيرا ومستفزا للمتلقي على اختلافه، إضافة إلى ذلك سأقدّم أثر هذا الخطاب في المتلقين على اختلاف ثقافتهم.

الكلمات المفتاحية: العالمية – الإنساني – السرد – الخطاب الروائي

Resume

Le discours du romancier Amine al Zaoui, à travers ses nombreux aspects, constitue un message et un discours fondant de nombreuses idéologies et problématiques.

Il soutient plusieurs thématiques d'une dimension humanitaire et universelles telles l'identité, les normes éthiques, la coexistence des religions, la relecture neutre de l'histoire, le dialogue des cultures et d'autres thématiques.

Ces thématiques ont amené le romancier à l'universalité, notamment son écriture avec une autre langue et une autre pensée.

A travers cet article, nous essaierons de mettre la lumière sur certains aspects universels et humanitaires dans les écrits d'amine al zaoui, d'une part, à travers ses thèmes et d'une autre part, les techniques de l'écriture de l'autre. L'universalité et l'humanisme ne sont pas des titres et des récompenses pour Amine al Zaoui mais un discours différent qui permet à l'homme d'apprécier l'écriture en dépit des différences idéologiques et culturelles.

La différence est le secret du succès du romancier et d'autres écrivains qui ont atteint le statut de l'universalité.

Sur cela, nous ferons références à plusieurs thèmes traités par l'écrivain, comme aux techniques d'écriture dont il a fait recours dans la présentation de son texte vivant provocant les différents destinataires. Nous présenterons en dernier l'impact de ce discours sur les différentes cultures.

Mots clés : Universalité - humanitaire – narration- discours romancier

1- مدخل:

تعتبر تجربة أمين الزاوي الروائية متميّزة في مسار السرد الجزائري، حيث قدّم خطابا مختلفا ومستفزا في كل مرحلة من مراحل إنتاجه على مختلف المستويات من البناء إلى الموضوعات، وقد عمل تميّز خطابه على إعطائه دفعة نحو العالمية خصوصا لما تميّز به من أبعاد إنسانية ومناقشته لقضايا جريئة وعابرة للجغرافيا في زمن يخشى فيه الكثير قول الحقيقة كما هي، ولعل الجرأة وكسرالتابوهات والتمرّد على كل التقاليد والأعراف هو ما جعل الروائي يتصدّر بأعماله طليعة الروائيين الجزائريين ذوي الحضور العالمي، فقد تمرّد عبر خطابه الرافض، وأطلق العنان لمرحلة جديدة في السرد الجزائري، تتجاوز كل الماضي وتؤسس لذاتها عالما خاصا، ولم تقتصر الجرأة في الموضوعات بل جرّبت روايات الزاوي في مختلف تقنيات السرد الحديثة، فتلاعبت بالزمن وكسّرت حواجز الفضاء، وكثّفت اللغة ومزجتها بالشعرية، وهو ما قدّم لنا خطابا يستحق التتبّع والبحث لاكتشاف خباياه انطلاقا من بنيته، التي تجاوزت دورها البنائي إلى وظيفة علامية تحمل الكثير للمتلقي مهما اختلفت لغته وتوجّهه الأيديولوجي لهذا فأعمال الزاوي عابرة للحدود ويمكن وصفها بالإنسانية والجريئة، وعبر هذه القراءة لبعض الزوايا من رواياته سنكشف عن العالمية والبعد الإنساني في أعماله ونبيّن بعض أهم خصائصها من خلال عيّنات محدّدة من رواياته.

2- مظاهر العالمية في روايات أمين الزاوي:

انطلاقا من تتبع عدد من روايات الزاوي*نصل إلى أن الروائي قد وظّف الكثير من الأدوات والأساليب لولوج العالمية في كتاباته، مما أتاح له انتشارا واسعا وشهرة كبيرة وهي أهم ميزات العالمية كما حددها من قبل غوته يوهان و ولفغانغ J.w.Goethe الذي يعدّ أكبر مروّج لفكرة عالمية الأدب – خصوصا الشعر- فالأدب العالمي حسب تعريفه، هو ذلك الأدب الذي ارتقى إلى مصاف العالمية، بمعنى أنه تجاوز الحدود الجغرافية، وهو أيضاً، الذي حقّق شهرة واسعة عابرة لبلده الأم، فغوته نادى بهذا التوجه لدرجة أنه يرى "إننا نسير نحو عصر الأدب العالمي، ويجب على كل شخص أن يسهم في تسريع قدوم هذا العصر"[1] الذي يصبح فيه الأدب ذو صيت إنساني فيعبّر عن الإنسانية بمفهومها الواسع، وعن قضاياه المختلفة والمتعدّدة التي تهم كل البشر، بشكل فني رفيع وخالد. وعليه فالأدب العالمي في أحد مفاهيمه الشاملة**هو الأدب الذي يشمل الروائع الفنية التي تنتمي إلى آداب قومية مختلفة ومتفق على جودتها، وحافظت على قيمتها عبر الزمن[2]وقد تمحورت مظاهر العالمية في روايات الزاوي بين ما يمكن استنباطه من أعماله عبر تفكيكها بنائيا وموضوعاتيا وربطها بالبعد العالمي، وبين ما يمكن ملاحظته من خارج الروايات عبر ترجمتها أو كتابته بلغات أخرى مما فتح المجال على جمهور أكبر وقراء من ثقافات مختلفة وهو ماساهم في ربط أعمالهب العالمية،لتتعالق بما يُعرف بالآثار الخالدة التي لا يمكن الحديث عن العالمية في الأدب، دون الحديث عنها فهي الآثار التي بلغت مصاف العالمية. وتعود جذور هذا المصطلح النقدي إلى كتاب "في السمو On The Subline "للناقد الروماني (الكلاسيكي المسيحي) "لونجانيوس Longinus " الذي اشترط فيها على الأديب أن يتخيّر موضوعات تتمحور حول جوانب من طبيعة البشرية، والسلوك الإنساني الذي لا يتغير على مرّ الزمان، وتعدّدت مقاييس الآثار الأدبية الكبرى، واختلفت معاييرها من مفكر إلى آخر، لكن أغلبهم يلتقون في خطوط عريضة منها ما اقترحه "جان موكارفيسكي" حيث حدّد ثلاث معطيات لعالمية الآثار الأدبية وهي:

-الانتشار في المكان.

-الصمود أمام الزمن.

-تكون فيها قيمة جمالية واضحة[3].

ورغم ما قد يُطرح حول هذه المعايير من تحفظات كالانتشار- مثلا- الذي يمس الجيد والرديء إلا أن هذه المعايير تعد مفتاحا مهما لقياس مدى عالمية الآثار الأدبية، التي عملت عدّة وسائل لتحقيقها كمعرفة اللغات التي تؤدي

إلى التبادل الثقافي بين الشعوب والترجمة والمؤسسات العلمية كالجامعات والمكتبات والمؤتمرات والمسارح والمعارض ووسائل الإعلام، وغيرها من الوسائل التي تبنّت فلسفة نشر الأعمال ذات القيمة العالمية والميزة الإنسانية التي تتحدى الزمن وتؤثر في أكبر شريحة ممكنة من المتلقين. وعبر تتبّع أعمال الزاوي الروائية سأحاول تقصي أهم المظاهر العالمية والإنسانية في رواياته وما يدور حولها، رغم نسبيّة مختلف وسائل تحقيق العالمية،وسأنطلق من خلال محدّدات ومؤشرات خاصة تعكس المعطيات الرئيسة التي تحقق العالمية كالانتشار والقيمة الجمالية والبقاء في وجه الزمن.

2-1- التعايش والتسامح بين الأديان:

يعد التعايش والتسامح بين الأديان من أهم مميزات روايات الزاوي التي فتحتها على العالمية، فالدين لله مهما اختلف ويظل الإنسان إنسانا مهما كان دينه ومعتقده، وركز الزاوي على العلاقة بين الإسلام واليهودية أكثر من الديانات الأخرى ولعل ذلك راجع للتواجد الكبير لليهود في الجزائر وارتباط أحداث رواياته بالمناطق التي سكنوا فيها، ونتيجة لتكرار تلك العلاقة التي تجمع الأديان وتدفع الشعوب للتسامح شكّلت تواترا وإيقاعا معيّنا في مختلف رواياته حيث صور لنا اليهود ودينهم ومدى تسامحهم! فنجدهم في السماء الثامنة معلّمين وأصحاب جاه وسلطان "جاء اليهود.. ولليهود صمت... صمت الأنهار التي تريد أن تفيض صيفا.. ملئوا الدنيا تجارة.. تعلّمنا منهم الفلسفة والرياضيات..."[4] كما نجدهم في رواية لها سر النحلة أفضل الناس وأرحمهم فجاء ذكرهم في أحد عناوين الفصول - عنوان المفصل العاشر- "كلْ من طعام اليهودي ونم في فراش المسيحي"[5]كما اعتبرهم الروائي/الراوي الأكثر تسامحا وعطاء! "هذا المسجد الذي يسمى اليوم باسم السيدة عائشة... كان في زمن ما جامعا لليهود، كنيسا ليهود الحي.... تبرّع به أحد ورثة المحل من اليهود... لرفاقه من المسلمين.."[6] وهذا التصوير مقصده تقديم خطاب إنساني يحمل قيم التسامح مع أقليات معيّنة. كما نلاحظ الخطاب التصالحي بين اليهود ومسلمي الجزائر –خصوصا كبار السن- أينما ذكر اليهود في رواياته، ففي السماء الثامنة مثلا نجده يتحدث عن تآخي اليهود بالجزائريين، فعند عودة اليهود لمدينتهم التي تركوها تستقبلهم الشوارع والساحات القديمة، فلما نزل الليل "فاحت في شوارع المدينة رائحة أكلة الدفينة"[7]، فالمدينة احتضنت زائريها وقدّمت لهم ما ضيّعوه في الماضي، رغم أن فرحتهم لم تدم طويلا إذ سرعان ما طردتهم السلطات، إلا أن الحب والمودة بينهم والمسلمين ظاهرة مما كرّس بُعد التعايش والتسامح بين الأديان وهو ما جعل الخطاب أكثر إنسانية. ونجد ذات الحضور للتعايش واحتواء الآخر في مواضع أخرى من روايات الزاوي ففي رواية ".. لها سر النحلة" تحتضن أم خوسيه –الحاجة شهيرا اليهودية- فاطي/فاطمة المسلمة في بيتها وتوفر لها الأمان وتقدّم لها ما لم يُقدّمه غيرها من دعم كامل وفي ذلك تعبر فاطمة بقولها: "أصعد الزقاق حافية وأفتح باب شقة أم خوسي الحاجة شهيرا الطيبة... منحتني قلبها... قالت لي الحاجة شهيرا ... أنت ابنتي وهذا المنزل منزلك وخوسي أخوك.."[8]، يظهر بوضوح تآخي الدينين ممثلين في فاطمة المسلمة وخوسي اليهودي. ورغم ما قد يُطرح من تساؤلات حول العلاقات الأكثر شبهة بين الأديان في روايات الزاوي إلا أن رؤيته تمثل انفتاحا على الآخر وتجاوزا للحدود الضيقة التي ترفض التعدد. كما نرصد من مظاهر التعايش بين الأديان والحرية في الاعتقاد ما نجده في رواية حادي التيوس ورغبة فتيات فرنسيات غير شقيقات***في اعتناق الإسلام رغم ما يضمرن من نوايا سيئة اتجاه الإسلام إلا أن الدينين تعايشا في الرواية واستقبله الجميع بالترحاب فقد "نزل الخبر كالرعد على أهالي مدينة الغزوات الساحلية.."[9]. فالإسلام لم يرفض الآخر المسيحي بل استقبله وقدّم له الأمان،وهذا يعطي دليلا جديدا على الرؤية الإنسانية للأديان وأن الإنسان هو الفيصل مهما كان دينه. كما تجدر الإشارة إلى ظاهرة أخرى في تقارب الأديان وهي متعلّقة بقراءة مختلفة للإسلام فنجد الروائي يؤكّد في كل رواياته على الإسلام العالمي الذي يقبل الآخر ولا يتزمّت في الرأي، وينتقد بقوّة التشدد في الدين حيث يربط التشدد بالإرهاب والعنف والقسوة، فمثلا في رواية "حادي التيوس" نجده يربط حضور المسجد/الدين في بعض المفاصل/الكتب بالبعد المتطرّف وهو ما يدخل في السلبية، فمثلا في وصف تصرفات شخصية أسعد الحبيب، وهو صديق أم مارتين، بدأت أكثر عنفا بعد اتصاله بالمسجد

"أصبح لا يغادر المسجد.."[10] وهو ما ولّد لديه نزعة العنف – حسب الراوي/الشخصية – وحوله قالت مارتين :"صُعقت هذا اليوم إذ شاهدت بأم عيني أسعد الحبيب يعتدي على أمي بالضرب الجسدي المباشر، استنكرتُ منه ذلك.."[11]، ولا نكاد نعثر على فاصل نصي بين ذكر المسجد والاعتداء الذي جاء بعده، ففي وصفها لحالته واتصاله بالمسجد كان في آخر الصفحة-22-: "لم يكن حبيب ليغادر المسجد إلا ليغرق في سرير أمي.. "[12] وبعدها مباشرة في أعلى الصفحة - 23- يحدث الاعتداء، فالفضاء النصي القريب كرّس ارتباط المسجد بالعنف وهو بُعْد سلبي. كما نجد هذه الحالة تتكرّر مع شخصية أمقران وهو عشيق أم غابرييل - إلزا- في ذات الرواية فعبر ارتباطه بالمسجد انقلب حاله "لقد دوّخ إمام المسجد رأسَه"[13]، وعليه فالمسجد هو مصدر هذا الاضطراب في الشخصية، وهو ما دفعها للعنف والتصرّف بغرابة. والأمر الملفت في هذا الموضع أن مختلف الشخصيات التي ارتبطت بالمسجد في أوروبا/فضاء الآخر جعل منها فضاء المسجد أكثر عنفا وتشدّدا وغرابة، بينما حمل المسجد بُعْدا آخرا في فضاء الجزائر وهو بُعْد نفاقي فالشخصيات الجزائرية عبر ارتباطها بالمسجد لم تكن صادقة، وهذا مستوى سلبي آخر للمسجد لكن يختلف عما رأيناه عند الآخر الأوروبي، فمثلا في شخصية الإمام –رغم أنه إمام-يعبّر عن تذمره من المسجد ورغبته في التحرر منه "..أستطيع أن أتحرّر من هذا البلد الذي سجنني في هذا المسجد.."[14]، فالمسجد أصبح سجنا بالنسبة للإمام، وهو فضاء لقضاء المصالح ودفع أموال المخدرات لأمير الجبل عبر وساطة الشرطي وهذا مع شخصية تاجر المخدرات –عشيق عبلة- فقد كان يقدّم للشرطي المال في المسجد وقت الصلاة "بين الركعة والأخرى أسلّمه الأمانة"[15]، كما نجد الأمر يتكرّر مع شخصية الشاعر، فلم يكن يصلي ولا يحضر المسجد أبدا "أعترف أن قدمي لم تطأ أرضية مسجد ولو لمرة واحدة..."[16]، ومجيئه ذاك اليوم نفاقا من أجل التقرّب من الفتيات الفرنسيات، بهذا نلاحظ طبيعة ارتباط الجزائري/الشاب – نماذج محددة من الجزائيين- بفضاء المسجد، وهذا يطرح عدّة تساؤلات حول تحوّل البُعْد القيمي لفضاء المسجد والإسلام من فضاء/ثقافة إلى أخرى، فرغم أنه ظل سلبيا إلا أن تأثيره تغيّر وغيّر في سلوك الشخصية من العنف إلى النفاق. وعبر هذه السلبية للمسجد الذي رمز للإسلام نجد الروائي يدعو إلى تخليصه من العنف والنفاق وجعله أكثر مرونة ليحتوي الإنسانية بكل اختلافاتها، فالإسلام في نظره قيمة عليا لا يقبل الإملاءات من طائفة معيّنة تحتكر الدين وتصنف الناس إلى مسلم وكافر، وتدخل من تشاء الجنة أو النار، فالإسلام في نظر الروائي إنساني وعالمي ولا يمكن حصره في المسجد والرؤية الضيقة، ويعد هذا الطرح أكثر عالمية فهو مقبول عند الجميع على اختلافهم. ويمكننا عبر تتبع روايات الزاوي الأخرى ملاحظة ذات التصوير للإسلام ممثلا في رموز معيّنة وربْطه بالعنف ومختلف المظاهر السلبية كما في رواية "لها سر النحلة"نجد العنف يرتبط بالشخصيات كلما جنحت للدين، ومن ذلك وصف فاطي ما حل بمومو/محند لما اتجه وجهة دينية متشدّدة وهي تتحسّر على أيامه الحلوة معها "..قبل أن تحاصره سيول الخطب الجارفة لرجال دين متشنّجين... فتسحبه نحو بالوعة لا أحد يدري بأي مصب أو مزبلة ستلقي به ذات يوم قريب أو بعيد. كحّل مومو عينيه وسوّك أسنانه وأطلق لحيته..."[17] فيظهر التصوير السلبي للدين وفهمه الخاطئ الذي يجعل من الإنسان يتخلى عن إنسانيّته، لهذا جاء خطاب الزاوي داعيا لتخليص الدين والإسلام من ضيق الأفق وجعله أكثر إنسانية وعالمية، وكل هذا ساهم في بعْث خطابه للأفق العالمي، ورغم ما قد يطُرح حول رؤية الزاوي وموقفه من الدين والإسلام يظل يشكل بطرحه تصورا مختلفا يجعل الآخر يُقبل على الإسلام الوسطي ويكتشف التطرّف ويعرف بعْده عن الإسلام الحقيقي.

وعليه فالتعايش بين الأديان وتقديم الإسلام الوسطي اعتبر وسيلة مهمة في تحقيق عالمية خطاب الزاوي وقبوله لدى الآخر فكريا بعد الترجمة، فطرحه تجاوز الذات المنغلقة التي ترى في نفسها الأفضل فقد سما بطرحه إلى الإنسانية على اختلافها.

2-2- إعادة قراءة التاريخ:

في روايات الزاوي تُعاد كتابة التاريخ كما يراه الروائي وتعد هذه الميزة انفتاحا على قراءة مختلفة للتاريخ بعيدة عن التوجيهات الأيديولوجية والإملاءات السلطوية الخارجية التي توجه -عادة- فهمنا للتاريخ من أجل أهداف كثيرة. فالأحداث التاريخية التي وصلتنا عبر المؤرخين تطرح تساؤلات محرجة أحيانا حول بعض ما نعتبره من الحقائق التاريخية ، وعليه فإننا نجد "قضايا كثيرة في تاريخنا وحضارتنا لا تزال تنتظر من يكشف النقاب عنها، أو يعيد عرضها بالأسلوب الذي يقدّمها كما تخلّقت فعلا.."[18]، وعبر إعادة فهم التاريخ يكون الروائي قد تجاوز حدود ذاته وإملاءات واقعه وسلطته لمساحات عالمية أوسع يمكنها أن تقرأ التاريخ برؤية مختلف ومن زوايا حرة كثيرة قد تقّدم حقائق في قالب جمالي، مما يساهم في إثراء البعد الإنساني والعالمي في الحدث التاريخي، ومن العيّنات التاريخية التي أعاد الزاوي بعثها نجد قصة طارق بن زياد في رواية السماء الثامنة الذي قدّمها على أنها واقعة تاريخية من منظار الشخصية" دخل طارق بن زياد مغارة بضواحي قرية أزفون"[19]، لكن الأحداث والأفعال تخرج عن الوقائع التاريخية وتأخذ الأشكال المتخيّلة ليُعاد بعْث التاريخ من جديد بحُلّة مختلفة حتى أن توظيف شخصية طارق بن زياد التاريخية في هذا الموضع جاء توظيفا أسطوريا لشخصية البطل في ظهوره ومكانته والبطل الأسطوري " بطل بالمفهوم الحربي للكلمة، وليس مجرد عنصر رئيس داخل السرد"[20]، وانطلاقا من الموقع البطولي لهذه الشخصية، تقوم شخصية مصطفى الروائية بتخيّل وتصوّر ذاتها وكأنها طارق بن زياد حتى أنها تصرّح: "سأكون الشخصية المسلمة الثانية التي تعيد للإسلام قوّته"[21]، وعليه يسيطر المتخيّل على زمام الفضاء، بداية بالبلاد المتخيّلة التي لا تمتّ بصلة للواقع بل توجد في مخيّلة الراوي فقط "**بلاد بربروس العظمى**"[22]، وانتهاء بتصوّر الشخصية أنها تمثل شخصية **طارق بن زياد**، لهذا غلب الفضاء المتخيّل على الواقعي في هذا العرض التاريخي الذي تجاوز كُتب التاريخ وقدّم تاريخا مغايرا يتناسب مع طبيعة الشخصية من جهة ويقدّم رؤية مختلفة للروائي في قراءة التاريخ، وهو ما ساهم في جعل خطابه أكثر انفتاحا وتعددا من حيث القراءة، ونرصد هذه الظاهرة في التقديم المختلف للتاريخ في مواضع أخرى من روايات الزاوي، ويعد تاريخ الجزائر أكثرها وأبرزها من حيث الظهور والاختلاف في التقديم، فنجد الروائي يركّز على فترات تاريخية محددة من تاريخ الجزائر ويقدّمها من وجهة نظره، منها مرحلة الثورة التي قدّمها الروائي وفق تصوّره وقراءته الخاصة فلم تكن فترة فروسية ونضال وشرف –كما صوّرها غيره- بل حملت قيما سلبية كثيرة كما في شخصية زهرة في رواية الرعشة فقد وجدت في الجبل والثورة -بداية-مهربا مما عانته من ضيق وحصار "خرجت إلى الجبل.."[23] ورغم شرف الثورة- الظاهري- إلا أنها أهدت لزهرة ولعائلتها العار فكانت سلبية "خلفي اندلقت الألسن تركب الحكايا..."[24] ولم تتوقف سلبية الثورة عند هذا الحد فقد لحقتها للجبل أين خان الرفاق " من الليلة الثالثة، شعرت أن الذئاب من حولي كثر.."[25] "الملتحي يريدني ويخرج في الليل فتواه عن نكاح المتعة... وأنا أهرب من أنثاي...وأصرخ شوراكي... لا أحد يسمعني سوى الفراغ الذي يملأ مملكة الطير التي غاب عنها المسبل.."[26]، كذلك استمرت السلبية بعد الاستقلال "أعطينا الثورة العظيمة نارا، فأهدتنا ثلجا... هذا حظي. بيت جثث أجرّه ثقيلا منذ الاستقلال. تبكي زهرة..."[27]، يظهر بوضوح التقديم المختلف للتاريخ الذي اتفق الجميع على شرفه وقيمه الإيجابية ونجده عند الروائي مختلف وأكثر سلبية وقتامة، والأمر لا يختلف في روايات الزاوي الأخرى التي صوّرت ذات المرحلة ففي رواية شارع إبليس تسببت الثورة في الألم والاضطراب لأهم الشخصيات وهو عبد الله بن كرامة/إسحاق ".. كنتُ أشعر أنني أنتقم لوالدي ضد ثورة خانته، ونسيته.."[28]، وقد دفع هذا الشعور بالشخصية إلى التوجه نحو منحى محدّد خلق شكلا خاصا للأحداث ومسارها، فكل ما حدث لها فيما بعد كانت الخيانة الثورية هي سببه الرئيس، وعليه فتاريخ الثورة يتم كتابته من طرف الروائي بشكل مختلف ومغاير لما هو معروف ومتداول في كتب التاريخ وهذا يجعل من الخطاب أكثر انفتاحا على قراءات مختلفة مما يحقق له العالمية.

إضافة لما تقدّم يمكننا تتبع عدة أحداث تاريخية متعلّقة بتاريخ الجزائر أو التاريخ العربي أو العالمي وتم تقديمها بشكل مختلف ومتميّز مما يعكس قدرة الروائي على تطويع الأحداث التاريخية في بوتقته الإبداعية لتقديمها بشكل أكثر تعددا وهذه العملية جعلت من خطابه منفتحا وقابلا للترجمة والقراءة المتعددة رغم اختلاف الثقافات، فهو يحاور الآخر ويقدّم له وجهات نظر مختلفة حول الأحداث التاريخية غير مرتبطة بما سوّقته السلطة أو المؤرخون، وهذه العملية تعد وسيلة مهمة في جعل الآخر يُقبل على العمل لوعيه أنه عمل تجاوز ذاته وانفتح على الآخر وإن اختلف معه، فالروائي لا يخضع لعقدة النقص والحياء من بعض مظاهر التاريخ الأسود الذي مرت به أمتنا، فيقدّمه في حلة فنية متميّزة ليستقبله الآخر دون إملاءات مسبقة مما يحقق عالميته.

2-3- حوار الثقافات والحضارات:

تعد مسألة حوار الحضارات من القضايا التي تشد الإنسانية عامة، فالآخر يحاول التقرّب منا وفهمنا كما نفعل نحن أيضا، وعبر طرْق هذه المسائل في العمل الروائي نجده يتجاوز حدوده الضيقة إلى رحاب الآخر وحضارته، وهذا ما يمنح الرواية انتشارا وقبولا وتحديا للزمن، ومن خلال العينات المختارة من روايات الزاوي نجده يركّز في طرحه على الحوار بين الثقافات والحضارات فهو يتجاوز في الكثير من أعماله حدود التركيز على الشخصيات ويذهب بعيدا نحو الثقافات واختلافها والتقائها، وكيف نقرأ الآخر ويقرأنا، ومن عيّنات ذلك ما نرصده في رواية حادي التيوس في ولوع الآخر بتراثنا الثقافي،فنجد ذلك مثلا مع مارتين وأختها كاترين في الإحالة إلى كتاب الأغاني للأصفهاني لما تحدثت مارتين عن أبيها وسفرياته، وكيف عشق الشرق وسحره، فالشرق بالنسبة للآخر خرافي، ويعد هذا الطرح عاملا في جعل العمل أكثر إنسانية فقد صوّر كيف ينظر الآخر إلينا، وهذه العملية مهمة في الكشف عن حوار الثقافات وتمازجها، ففي حين مثّلتْ الفتيات الفرنسيات في هذه الرواية الغرب بما يحمل، مثل الشباب الشرق بما يحمل من سحر وغواية، خصوصا بالنسبة لأهل الغرب "لم تكن كاترين تتوقف عن سرد تفاصيل رحلات والدي إلى بلدان الشرق من بغداد... إلى أصبهان..."[29]، فيقف قطبي الشرق والغرب في موضعين متضادين في كل الاحتمالات الواقعية والفعلية وحتى على المستوى السردي، حيث اللغة المتداولة بينهما مختلفة، كما أن القدسية التي ينظر بها الشرقي لشرقه ويرفعه إلى أعلى الدرجات، تختلف عن التي يرسمها الغربي بغربه[30] ويقدّمه للعالم، بهذا فالتضاد بين الفضاءين حمل معه تضادا وتقابلا حادا بين ثقافتين مختلفتين، وهو ما ولّد الحوار بينهما وفتح العمل أكثر على عالمية. كما نجد في ذات الرواية توظيف الأسماء التاريخية والدينية –التراثية/العربية- من طرف الآخر الأجنبي وكيف أثّرت فيه ووجّهت فكره، ومن ذلك شخصية رابعة العدوية التي عبّرت عنها شخصية كاترين "استطاعت أشعار رابعة العدوية المترجمة تحت عنوان: Chants de la recluse et Puisses-tu!

أن تغيّر مجرى حياتي...."[31] فرابعة العدوية تحيلنا إلى تاريخ معيّن وحالة صوفية ووجدانية خاصة وهي مرتبطة بشكل كبير بشخصية كاترين المحبة للسلام والعزلة "دخلتُ في عزلة شبه تامة"[32]، فنلاحظ التقارب الكبير بين الشخصية والإحالة المرافقة لها، وهو ما صوّر حوار الثقافات مما جعل العمل أكثر انفتاحا في طرحه. ويمكن ملاحظة ظاهرة أخرى في هذه الرواية تُبرز المثاقفة ورغبة الآخر في ولوج عالم الشرق وسحره حين طلبت مارتين/الغرب من "أسعد الحبيب"/الشرق تعليمها اللغة العربية لتقتحمه وثقافته، بهذا يظهر مدى تركيز الروائي على حوار الحضارات وتقاربها وتكاملها وهو ما ساهم في جعل عمله أكثر انفتاحا على الآخر وقبولا للترجمة.

كما نلاحظ في عدد من أعمال الزاوي تصوير الشرقي لشرقه وتقديمه للغربي للتأثير عليه،فمثلا في السماء الثامنة نجد قول الراوي/الشخصية-مصطفى- للفتاة الاسبانية للتأثير عليها:" أحدّثها عن جدي طارق بن زياد "[33]، ويعد توظيف هذه الشخصية التاريخية التي تشير إلى الماضي التليد والقوة التي تمتّع بها البربر والعرب في زمن فتح الأندلس، نوعا من الإيهام بسحر الشرق وخرافيّته مما يؤثر على الغربي، فالراوي/الشخصية يستحضر شخصية **طارق**

بن زياد التاريخية ليشير إلى ماضي أمّته ويُحاول إعادته، ليُعوّض نقصه، لهذا فإن "الاحتماء بالتراث شكل من أشكال الهروب من الحاضر ومشكلاته"[34]، وهو ما فعلته الشخصية، فمن أجل أن تهرب من واقعها وحاضرها في الثكنة احتمت بالتراث وصوّرت ماضيها وثقافتها وما حملت من مجد عظيم، فجاءت بأحداث تاريخية لتزيد من قيمتها، ومن جهة أخرى لتؤثر في الآخر. ويعد توظيف التاريخ في خطاب الرواية نوع من المزاوجة بين الإحالة إلى وقائع تاريخية حقيقية وتجاوزها بكسر مدلولاتها عند المتلقي مما يجعلها منتجة أكثر، بهذا "فإن استدعاء الخطاب التاريخي لإنشاء خطاب الرواية الراهن، يجعل من التاريخ نسيجا طريفا مكوّنا في المتن الروائي"[35]، فالروائي يتكئ على أحداث من عمق التاريخ تحمل في اللاشعور الجمعي للأمة الكثير، ثم يقوم بتحطيمها عبر أحد شخصياته ليحقق التجاوز الذي يريده، وهو ما حدث مع شخصية مصطفى الذي حاول الهرب من واقعه بكل السبل، ولو في الخيال لمقاومة الشعور بالذل الذي عاناه منذ أن رمته السلطات الإسبانية إلى الجزائر "مكبلا كالكلب"[36]، لهذا تحوّلت العبارة التي حملت اسم "**طارق بن زياد** " إلى علامة، فربطت بين مستويين أحدهما سطحي، والآخر جد عميق، فهو مرتبط بالزمن والماضي البعيد، وعبر تقديمه للآخر يظهر التحاور بين الثقافات وتأثير بعضها في بعض وهو سبيل لبلوغ العمل العالمية لأنه لم يقتصر على حدود وأفق ثقافته بل تجاوزها للآخر وبيّن كيف يستقبل حضارتنا ويتأثر بهابصورة تبدو خرافية أسطورية، لا يمكن أن تتحقّق أو نراها في الواقع، فوجودها مقتصر على مخيلة الشخصية.

كما نرصد إضافة لشخصية طارق بن زياد توظيف عدة شخصيات تاريخية أخرى من تراثنا الإسلامي تُبرز تصوّر إنسان الغرب للشرق وافتتانه به، وتعد العملية ظاهرة منتشرة في أعمال الزاوي على اختلاف موضوعاتها ومرحلتها، فالغربي مفتون على الدوام بالشرق وسحره لدرجة أنه يعرف عنه أكثر من الشرقي نفسه، فمثلا في رواية السماء الثامنة نجد شخصية أنطونيو الإسباني مفتونة بالشرق وثقافته القديمة ويعرف ما لا يعرفه مصطفى عن تاريخه وحضارته فقد كان"الإسباني يتحدث بلهفة عن حضارتنا في الشرق.."[37]وهذا يُبرز مدى حوار الثقافات ومعرفة الآخر بنا وهو ما يساهم بشكل مباشر في انتشار العمل وقبوله للترجمة مما يحقق العالمية. كما نرصد في بعض الأحيان الرؤية السلبية من طرف الآخر حيث يعتبرون العرب منتجين لثقافة الدم، وهو ما نرصده مثلا في السماء الثامنة لما قص مصطفى على المجموعة التي كانت معه من الألمان حكاية أكلة المنسوف وذبحه للخروف[38]، فجاءت ردة فعل المجموعة عكسية ونظرت إلى مصطفى باعتباره يمثل الآخر نظرة احتقار واشمئزاز، ورغم سلبية الرؤية إلا أنها عبّرت على نوع من قراءة الآخر وهو ما يساعد في تقديمنا له بشكل من الأشكال مما يجعل العمل أوسع انتشارا عندهم.

أما الرؤية العكسية في حوار الثقافات التي طرحتها روايات الزاوي فتبيّن كيف نرى -نحن- الآخر ومدى قيمته عندنا باعتبارنا شرقيين، وفي ذلك نجد الروائي يصوّر الشرقي مفتون بثقافة الآخر وتطوّره وبحريته وتصالحه مع ذاته أحيانا، وبجسده أحيانا أخرى، فمثلا في "حادي التيوس"يرى الشباب/الشرق في الفتيات/الغرب المهرب والنجاة مما يعانونه في البلاد فالغرب عندهم جنة الحرية، أمام فضاء الشرق الذي يعد سلبيا بامتياز حيث رسم صورة قاتمة على الوضع الذي آلت إليه الجزائر وهو ما دفع بأبنائها على اختلاف مرجعياتهم واتجاهاتهم إلى الرغبة في تركه والذهاب نحو الغرب وما يحمل من انعتاق، وتعد هذه الرغبة عامة عند مختلف الشرائح الاجتماعية في الشرق فنجدها مع رجل الدين والصحفي والشاعر الفنان وتاجر المخدرات، الكل يريد الهرب للغرب والسبيل لذلك في هذه الرواية هن الفتيات الفرنسيات لدرجة أن كل الشخصيات كرّرت رغبتها بعبارات متقاربة للغاية كقول الإمام الذي ينطلق من فضاء البلاد الخانق ورغبته في الخلاص منه"... أستطيع أن أتحرر من هذا البلد الذي سجنني في هذا المسجد.."[39]، وسبيله في ذلك هن الفتيات اللاتي قرأ خبر إسلامهن "قرأتُ هذا الخبر الذي حرّكني... على الصفحة الأولى"[40]، فيقرر تجربة حظه في الارتباط بإحداهن، والأمر لا يختلف عن باقي الشخصيات الشرقية التي تريد النفاذ للغرب عبر الزواج بالفتيات، وهذا

لظنهم أن الغرب فاتن ويحمل رغد العيش، ومن جهة أخرى أخذت رؤيتنا إلى الغرب منحى مادي جسدي في أغلب الأحيان ففي هذه الرواية نظر الشباب الجزائري للفتيات الفرنسيات نظرة شهوانية، والأمر لا يختلف في معظم أعمال الزاوي التي يصوّر رؤيتنا للآخرظن ومن ذلك في رواية السماء الثامنة لما صوّر مصطفى قراءتنا للغرب بقوله: "لم يقم الإسباني سوى بتأكيد قراءاتنا عن الغرب.. فالمرأة الأوروبية تعرض نفسها مجانا..."[41]فالعربي/الشرقي يرى في الغرب المتعة والجسد، وعليه أخذ الحوار بين ثقافة الغرب والشرق مبدأ الافتتان المتبادل فكل من الأمتين تنظر إلى الآخر برهبة ورغبة وحب في اقتحام أسواره وأسراره. كما نلاحظ من خلال أعمل الزاوي ذكر عدد من الأسماء والأعمال الغربية التي افتتن بها أهل الشرق وقرأوها بلفه لأنها عبّرت عن الإنسانية جمعاء ففي حادي التيوس يوظف أسماء عالمية ككتّاب غرب منهم "فلوبيروبودلير وإميل زولا...هنري ملير .. "[42] وغيرهم كثير، ويربطهم بشخصية الإمام الذي كان أستاذ إنجليزية، ومن خلال الأسماء وبعض الكتب تظهر مرجعيتها وتوجه الشخصية في بداياتها، ثم كيف تحوّلت إلى التطرّف، وعبر قراءة رؤيتها للآخر يظهر افتتانها به وتأثيره فيها. ونجد أن ظاهرة ذكر بعض أسماء المثقفين وعناوين الكتب العالمية التي تحيل إلى الآخر تتكرر في مختلف أعمال الزاوي التي تعمل في مجملها على إحالة المتلقي إلى ما هو خارج عن الرواية كأسماء روايات أخرى أو دواوين شعرية أو شخصيات تاريخية معيّنة، مما يعكس رؤية الشرقي للغرب وثقافته مما يعمّق حوار الثقافتين، ومن ذلك -مثلا-في رواية الرعشة إشارة الراوي/الشخصية لرواية الجريمة والعقاب "انقضّت عليّ شخصيات رواية "الجريمة والعقاب" لدوستويفسكي التي انتهيت من قراءة مجلدها الأخير ليلة قبل مجيئي.."[43] فهذا التوظيف والإحالة تجعل المتلقي يستحضر نص الرواية بحمولته الفكرية وأبعاده الأيديولوجية، ويبيّن رؤية الشرقي لفكر الآخر وافتتانه به.

كما نسجّل في بعض أعمال الزاوي حوار ثقافات من نوع آخر ليست شرقية /غربية بل شرقية/شرقية كرؤيتنا للحضارة والثقافة الفارسية ورؤيتهم لنا ولثقافتنا، وتجسّد ذلك بشكل جلي في رواية "شارع إبليس" معما قدّمته شخصية **فرح** وما ترغب فيه من كتب للقراءة "أحب قراءة الشهنامة، وكتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني."[44]، وتحيلنا هذا الكتب إلى مرجعيات الشخصية، وترسم صورة واضحة عن رؤية الفارسي لثقافتنا العربية وافتتانه بها. وفي المقابل نجد أن شخصية إسحاق/العربي تقدّم الحضارة الفارسية بنوع من التقديس والافتتان. وعليه فحوار الثقافات في روايات الزاوي لم يقتصر على الغرب والشرق بل تعداه للشرق في ذاته، وفي أعمال متأخرة للروائي –كرواية الملكة- وهي غير مدرجة في العينات نجد الحوار يتعدى كل الحدود ليصل إلى حوار بيننا والحضارة الصينية التي غزت العالم اليوم. بهذا فأعمال الزاوي رسمت لنفسها مسارا أكثر انفتاحا على الآخر عبر ابراز عمليات التأثير والتأثر وتجاوزها الحدود الضيقة وتقديم الإيجابي والسلبي في كل حضارة دون حرج، ولعل هذا الأمر جعل من أعماله أكثر إنسانية ومقبولية لدى الآخر بعد الترجمة، خصوصا عبر تركيزه على التعايش السلمي بين الحضارات وإمكانية قبول الآخر مهما اختلف معنا، حيث اعتبر الجانب الإنساني هو الفيصل في التقييم، وهو ما حقق له الانتشار المكاني الذي يعد أهم معيار للعالمية كما أسلفنا.

2-4- القضايا والقيم الإنسانية المشتركة:

تعد القيم الإنسانية المشتركة نوع من الرابط بين الأمم لأنها تعبّر عن البشرية مهما اختلفت في لغتها وثقافتها، وتساهم بذلك في جعل العمل أكثر عالمية، وفي خطاب الزاوي الروائي تبرز القضايا والقيم ذات البعد الإنساني في ثنايا الأحداث من أول مواجهة، حيث ناقش بعض القضايا المشتركة بين الشعوب ونجدها عند كل إنسان مهما اختلف عرقه ودينه ولونه، ويمكن التمثيل لها بعدة نماذج منها؛ ظاهرة الانتقام التي تعد قيمة عامة نجدها عند كل إنسان يشعر بالظلم والاضطهاد ويحاول امتلاك القوة للرد والانتقام، وفي أعمال الزاوي يعد الانتقام ظاهرة مميزة من أوائل رواياته؛ ففي رواية السماء الثامنة عبّرت عنه شخصية مصطفى ورغبتها في الانتقام من غريمها. والانتقام رغم كونه قيمة إنسانية

سلبية إلا أنه موجود في مختلف الثقافات ويعبّر عن ثورة الغضب في النفس البشرية لما يمارس عليها الظلم. ونجد هذه القيمة في أعمال أخرى للزاوي كروايته شارع إبليس ورغبة أهم الشخصيات في الانتقام ممن قتلوا والده وصادروا أمه وفي ذلك تقول الشخصية عبد الله بن كرامة/إسحاق ".. كنتُ أشعر أنني أنتقم لوالدي ضد ثورة خانته، ونسيته.."[45]واُعتبر الانتقام في هذه الروايات المحرّك الرئيس للأحداث وهو القيمة المهيمنة التي دارت حولها، ومن خلاله تبلورت أفعال الشخصيات بل ولغة الحوار، لهذا فالقيمة الإنسانية المشتركة جعلت من روايات الزاوي تعبّر عن مشاعر إنسانية وعالمية غير مقتصرة على العرب دون غيرهم مما فتح أعماله أكثر على العالمية وإمكانية ترجمتها لقبول الآخر هذه الأفكار والقيم التي قد يجدها عنده. كما نعثر في أعمال الزاوي على قيم مشتركة أخرى أكثر إيجابية كالتسامح مثلا وتجاوز حدود الجنس والأعراق فالشخصيات البطلة رغم قهرها إلا أنها تتعايش وتتسامح مع الآخرين ومن ذلك في السماء الثامنة نجد علاقة مصطفى في ألمانيا مع الشباب رغم اختلافه معهم، كما نجده يتسامح مع من هزئ به ورماه بالعنف وهي الألمانية التي أراد جسدها[46]، ونجد هذه القيمة في رواية الرعشة حيث تزوجت زهرة شوراكي رغم كونه فرنسيا، والأمر ذاته في حادي التيوس، ولها سر النحلة في تسامح العرب واليهود. ويعد التسامح من باب تقارب الأديان والثقافات وهو مدخل مهم في جعل العمل أكثر إنسانية بذلك يكون مقبولا لدى الآخر مما يحقق له العالمية والانتشار والتأثير في أكبر قدر ممكن من المتلقين رغم اختلاف ثقافاتهم.

2-5- ترجمة الأعمال والكتابة بلغة أخرى:

انطلاقا من أن الترجمة هي القناة الأولى لكل تفاعل ثقافي[47]، فهي منفذ مهم لتمرير أهم الخصائص العالمية للأعمال الأدبية حيث تمكّن العمل من عبور الحدود والتأثير في شرائح مختلفة من أمم بألسن مختلفة وهو ما يحقق الانتشار المكاني، ورغم ما قد تظهره هذه الميزة من ارتياب في القياس لأننا قد نجد أعمالا مترجمة لكنها رديئة وتمت ترجمتها لأسباب خاصة سياسية أو أيديولوجية، إلا أن أعمال الزاوي المترجمة أثبتت ذاتها عند الآخر وحققت رواجا لا يقل عن رواجها بلغتها الأصل. كما نشير إلى أن الروائي يكتب باللغة الفرنسية أيضا خصوصا بعد تجربته في الاغتراب القسري، وهذا العامل يعد أقوى من الترجمة فالروائي يكتب بثقافة الآخر مما أهّل أعماله الأخرى المترجمة للقبول، ومن جهة أخرى تعد كتابته باللغة الفرنسية إضافة مهمة في جعل أعماله أكثر عالمية فقد وسّعت اللغة الفرنسية من جمهوره. ومن أعماله التي لاقت رواجا كبيرا نذكر مثلا Les Gens du parfum وغيرها... كما نشير إلى أن ترجمة أعمال الزاوي فاقت رواياته باللغة العربية إلى رواياته باللغة الفرنسية كرواية "حارة النساء" " HARAS DE FEMMES" تُرجمت إلى اللغة السويدية عن دار Albert Bonniers وهي أكبر دار للنشر في السويد وتعود بنا رواية "حارة النساء" لتشريح تاريخ النساء في عالمنا العربي والإسلامي المتميز بالقهر والمقاومة، والاستبداد والرؤية الدونية والسلبية اتجاهها[48]، وتعد هذه الأفكار القاسم المشترك في أغلب أعمال الزاوي إضافة لخرقه للتابوهات خصوصا الجنسية والدينية، ومن الروايات الفرنسية اللغة التي لاقت رواجا وانتشارا كبيرا وتمّت ترجمتها إلى لغات أخرى نذكر رواية «غرفة العذراء المدنسة»، الصادرة عن منشورات فايار- باريس ومنشورات البرزخ، حيث تُرجمتْ إلى اللغة الألمانية من قبل الدكتورة كريستين بلخضر وصدرت عن دار سوجيتفيرلاج SujetVerlag -[49]وكل هذا يقدّم دليلا واضحا على الانتشار الذي حقّقته أعمال الزاوي على المستوى العالمي، فنصه اخترق أكثر من لغة وثقافة وحقق تفاعلا وتأثيرا أينما حلّ وهذا انعكاس لما تحمله أعماله من قيم أكثر إنسانية وعالمية لتلقى ذلك الرواج .

كما نرصد في ترجمة روايات أمين الزاوي العملية العكسية في الترجمة إلى اللغة الأم - العربية- فبعضرواياته باللغة الفرنسية تُرجمتْ إلى العربية لتزداد رقعت متلقيها وتأخذ بعْدا عربيا ومن هذه الروايات نذكر رواية الخنوع La soumission - ورواية La Razzia- الغزوة اللتان ترجمهما "عبد الرحمن مزيان"[50] فوسّعتا من حدودهما وحققتا انتشارا واسعا إضافة لما حققتاه باللغة الفرنسية،بهذا يظهر أن الروائي بارع في اللغتين بل هوعاشق للغات –كما

يُصرّح-فلكل لغة غوايتها، فكما للأنثى عطرها، فللغة كذلك، حيث يغريه عطر الشرق بالعربية، وعطر باريس بالفرنسية، وهو ما ساهم في انتشار نصوصه على اختلاف لغتها ومتلقيها حتى بعد الترجمة فخطابه نابع من عشق اللغة التي يكتب بها مما بث خطابا مفعما بالعاطفة رغم ترجمته واختلاف لغته.كما نشير إلى أن بعض روايات الزاوي وصلت للصين بترجمتها كراويته الخنوع وبعضها الآخر تُرجم إلى أكثر اللغات الأوروبية منها اليونانية، الإيطالية، الإسبانية، السويدية، الرومانية، التشيكية وغيرها حسب تصريح الروائي في عدة حوارات أجريت معه*، وهذا يعكس مدى قدرة كتاباته على التغلغل والانتشار المكاني لما تحمله من قيم مختلفة رغم شذوذها في بعض الأحيان إلا أنها تغري الآخر وتجعله أكثر انبهارا وهو ما حقق العالمية في كتابات هذا الروائي.

2-6- التقنيات السردية الحداثية:

إضافة لمختلف الوسائل السابقة التي وظّفها الزاوي لبلوغ العالمية في رواياته نجده يمارس عبر تقنياته السردية شكلا جديدا في التقديم والطرح على مستوى مختلف البنيات السردية، مما جعل أعماله سواء بالعربية أو المترجمة تستفز المتلقي مهما كانت لغته وأيديولوجيته، وهو ما ساهم أيضا في توسيع رقعة متلقي نصوصه، مما حقق له العالمية في أعماله، وعبر تتبع مختلف البنيات السردية في أعماله سنلاحظ الفرق في الطرح والتقنيات المستخدمة في عرض القضايا، وسنحاول في هذه الأسطر التركيز على أحد البنيات السردية دون غيرها لضيق المساحة النصية المتاحة ولْتكن بنية الفضاء الجغرافي التي لعبت دورا مهما وحاسما في تقديم أعمال الروائي في حلة مختلفة مما ساهم في انتشارها أكثر وسهّل عملية ترجمتها وتقبّلها عند الآخر، كما نشير إلى أننا سنركز في الفضاء الجغرافي على ثنائية الواقعي والمتخيل في روايات الزاوي دون غيرها من الثنائيات، حيث سنلاحظ مدى التوافق والتناسب في طرحه الفضائي مما أهّل نصه لبلوغ العالمية، وفيما يلي نقدّم مجمل إحصائي حول حضور الفضاء الجغرافي الواقعي والمتخيل في الروايات العينة التي اخترناها.

الفضاء الجغرافي الواقعي والمتخيل في مجمل الخطاب الروائي لأمين الزاوي:

(جدول يوضح حضور الفضاء الجغرافي ككل والواقعي والمتخيل في الخطاب الروائي لأمين الزاوي)

الرواية / نمط الفضاء الجغرافي	السماء الثامنة	الرعشة	شارع إبليس	حادي التيوس	نها سر النحلة	المجموع في كل الخطاب الروائي	نسبة حضور نمطي الفضاء في الخطاب الروائي
الفضاء الجغرافي الواقعي(ف- و)	572	648	1501	999	956	4676	%75.45
الفضاء الجغرافي المتخيل(ف- خ)	587	193	132	203	406	1521	%24.55
مجموع حضور الفضاء الواقعي والمتخيل	1159	841	1633 تمثل %26.35 مقارنة بالباقية	1202	1362	6197	%100

نمثّل البيانات التي جاءت في الجدول بالرسم البياني التالي:

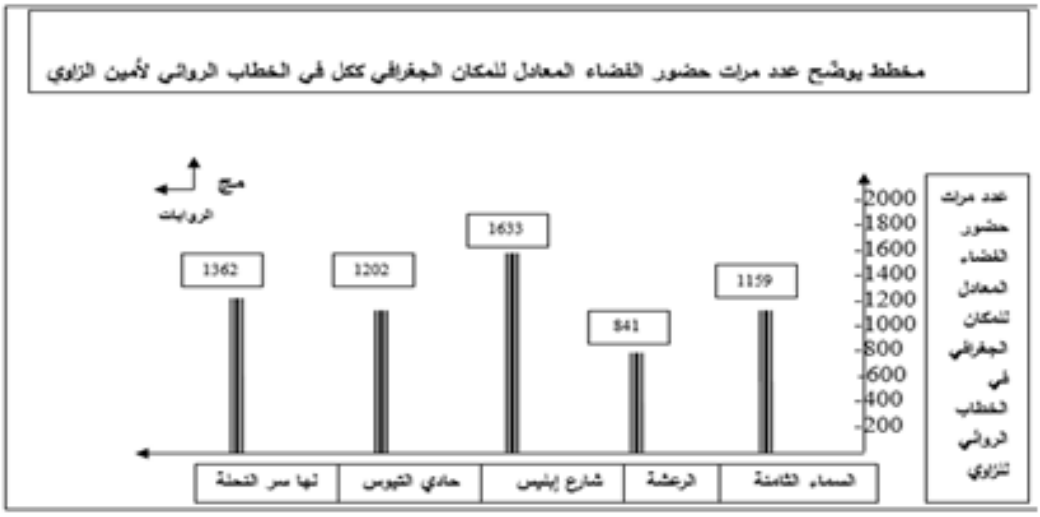

من خلال الحضور المختلف للفضاء الجغرافي في روايات أمين الزاوي يمكن تقدير الحجم النصي لكل رواية، فالعلاقة طردية بينهما وهي ميزة تجعل من نصه مختلفا عن غيره ومتميّزا في طرحه الفضائي الجغرافي والنصي. وفي ما يلي نمثّل للحضور الثنائي الواقعي والمتخيل للفضاء الجغرافي في عموم الخطاب الروائي لأمين الزاوي.

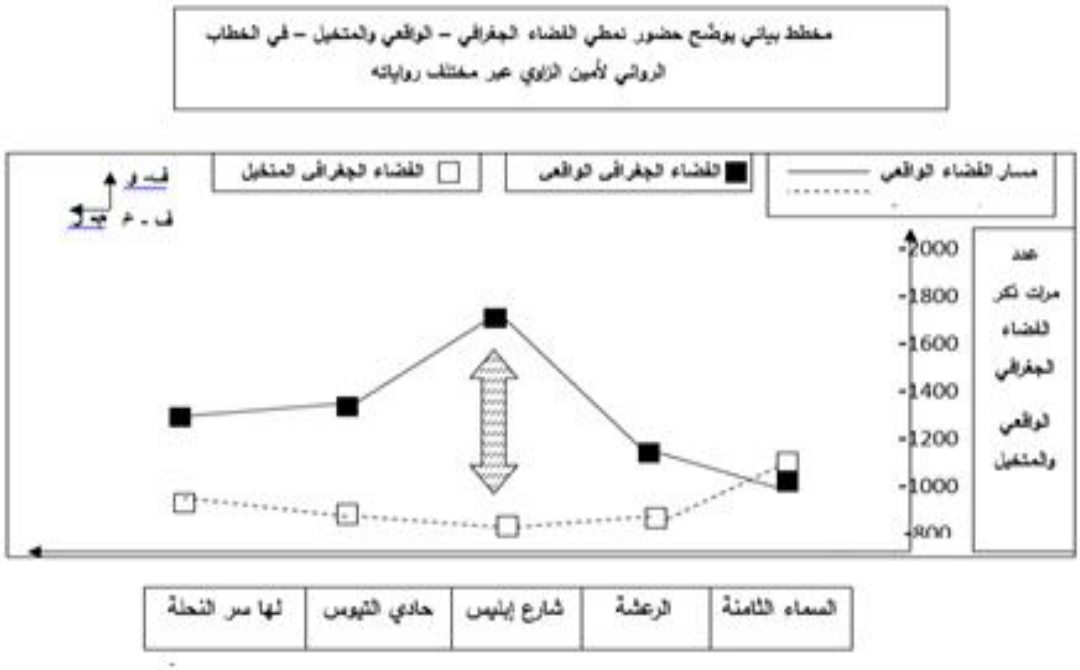

كما يمكن تمثيل الحضور العام لهذين النمطين من الفضاء في عموم الخطاب الروائي لأمين الزاوي عبر المقارنة بينهما في مجمل الروايات:

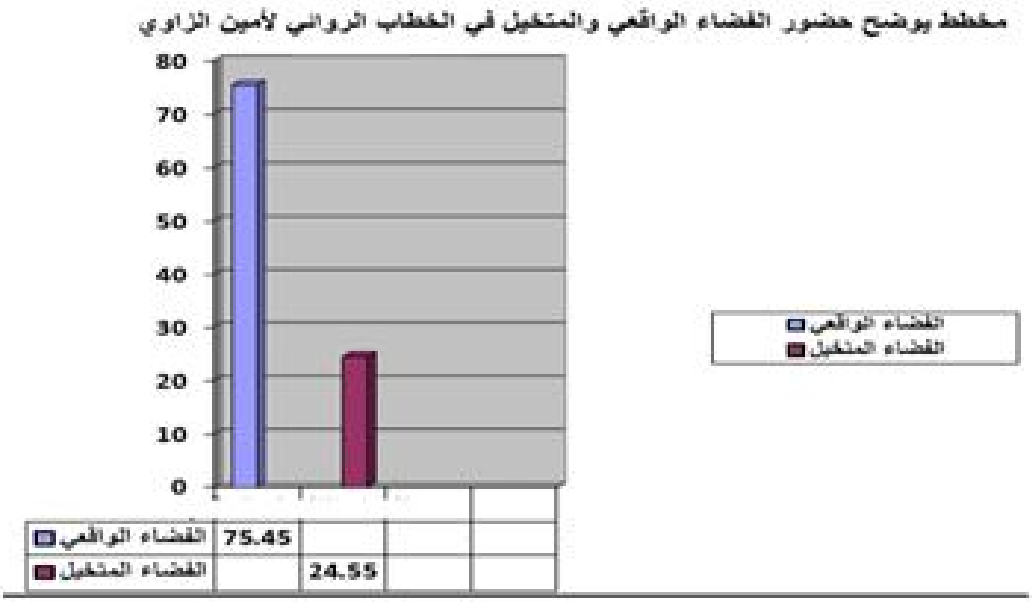

عبر ما تقدّم نلاحظ الحضور المتفاوت للفضاء الجغرافي في خطاب أمين الزاوي الروائي، وهذا يعود بالأساس إلى الاختلاف في الكمية النصية في كل رواية، فنجد مثلا في رواية السماء الثامنة تكرار الفضاء الجغرافي بلغ 1159 مرة وكمية الرواية من الصفحات 160 صفحة، بينما نجد رواية الرعشة تحوي على 841 مرة من تكرار الفضاء الجغرافي، وعدد صفحاتها حوالي 126 صفحة، ولكن الأمر الملفت أن هناك تناسبا واضحا في مختلف الروايات بين الكمية النصية وحضور الفضاء الجغرافي عموما، فعبْر قسمة عدد مرات تكرار الفضاء الجغرافي على عدد الصفحات نجد تقاربا ملفتا بين كل الروايات ولا تكاد تشذ واحدة ويمكن تلخيص ذلك كالتالي:

الرواية	السماء الثامنة	الرعشة	شارع إبليس	حادي التيوس	لها سر النحلة
تكرار الفضاء	1159	841	1633	1202	1362
عدد الصفحات	160	126	223	176	191
النسبة ت/ع	7.24	6.67	7.32	6.82	7.13

يظهر التقارب الكبير بين النسب مع اختلاف الروايات وهذا يعكس تقاربا في المسار الروائي لخطاب أمين الزاوي، فرغم أن رواياته تنتمي لمراحل مختلفة وتحمل كل مرحلة خصائص محددة، من العشرية السوداء إلى الانفتاح وبدايات الألفية الثالثة، إلا أنه يبقى حضور الفضاء الجغرافي متّزنا مقارنة بالحجم النصي الذي يحتويه. وهذا يجعلنا نقابل تأثيرا متقاربا للفضاء الجغرافي على بقية المكونات في هذا الخطاب مهما اختلف الموضوع والمرحلة، كما نسجّل أن التقارب في هذا الحضور يجعل من روايات الزاوي تمثل خطابا/نصا موجها يحمل قيما متشابهة ومتداخلة، فالقضايا التي عالجها رغم اختلافها إلا أنها تصدر من منظار واحد وتعالج بذات الطريقة، فالروائي يكرّر ذاته رغم اختلاف الموضوعات والقضايا، وهو ما انعكس بجلاء عبر أحد أهم المكونات وهو الفضاء، فلا نعثر على تنويعات جديدة رغم اختلاف الروايات إلا في ما ندر منها في ثنايا بعض المفاصل الروائية، ويعد هذا الانتظام في البناء الفضائي مهما للغاية في منح النص بعدا فنيا وقيمة جمالية أهّلته ليكون عالميا وقابلا للانتشار عند القراء على اختلاف ألسنتهم.

أما إذا نظرنا إلى توزيع الفضاء الجغرافي بين نمطيه الواقعي والمتخيل فنجد أن الواقعي يمثل ثلاثة أرباع الفضاء عموما بنسبة **75.45%** بينما يحتل المتخيل الربع بنسبة **24.55%** وهذا التفاوت طبيعي إذا تتبعنا الروايات

التي يجنح أغلبها للواقعية، فأحداثها وزمنها وشخوصها واقعية في أغلبها، وهو ما يتطلّب تغليب الفضاء الجغرافي الواقعي على المتخيّل. إضافة لهذا السبب يمكن الأخذ بطبيعة الإبداع الروائي عموما الذي ينطلق من واقع محدد ولو كان افتراضيا ليوهم المتلقي بقربه منه وهذا للمساهمة في إيصال رسالة الخطاب، وهو ما يجعل من الواقعية غالبة عن كل تخيّل في الرواية، وهذا ما نلاحظه بجلاء في معظم روايات الزاوي، بل في الرواية الجزائرية بشكل عام، حيث يعد الفضاء المعادل للمكان الجغرافي فيها له سلطة كبيرة على بقية الفضاءات الروائية[51]، فالواقع هو المنطلق مهما كان غامضا وضبابيا. وإذا تتبّعنا الحضور المنفصل للفضاء الواقعي والمتخيل عبر مختلف روايات الزاوي في مسار خطابه الروائي سنجد التفاوت في الحضور من جهة وغلبة الواقعي في أغلب الروايات، ولم تشذ في ذلك إلا رواية السماء الثامنة بعدد بسيط للغاية وهذا يجعلنا نسلّم بتفوق الواقعي المطلق على المتخيل، ويقدّم لنا ذلك سببا لتصنيف خطاب الزاوي، رغم ما فيه، بأنه واقعي في نسبة كبيرة منه، وهذا ما يساهم في زيادة قبوله وقربه من المتلقي. وعبر المخطط السابق نلاحظ أن مسار الفضاء الواقعي يبدأ بالتفوق بعد رواية السماء الثامنة ويصل للذروة مع رواية شارع إبليس بتكرار بلغ **1501** مرة مقارنة بالمتخيل الذي لم يتجاوز**132 مرة**، ورغم أن نسبة الواقعي تبدأ بالتناقص بعد شارع إبليس إلا أنها تظل متفوقة على المتخيّل، ولعل تفسير هذا التمايز الداخلي في خطاب أمين الزاوي الروائي يعود إلى طبيعة الموضوع المعالج في كل رواية والمرحلة التي انتمت لها، ففي رواية الرعشة مثلا حيث التمايز غير حاد، نجدها في أوج مرحلة العشرية السوداء 1996 والروائي مغتربا –يظهر من خلال آخر صفحة توقيعه خارج الجزائر- وهذا جعله يلاحظ الأزمات من بعيد وجاءته الكتابة أكثر استقرارا، ونجد ذلك في طبيعة سرده وانتقاله من حدث إلى آخر، بينما لا نجد ذات الطبيعة في رواية شارع إبليس التي يبدو أنه كتبها متنقلا بين الجزائر والخارج كذلك طبيعة الموضوع المعالج وهو موضوع الثورة وما حدث فيها من خيانات واغتراب عن البلاد وتداخل الأحداث، ثم يعود التوازن في الروايتين الأخيرتين في الدراسة، لكن يظل السرد الروائي عنده أكثر اضطرابا وسرعة في الروايات الأخيرة مقارنة بالأولى، فنلاحظ وكأن الروائي يريد إنهاء الأحداث بسرعة لهذا جاءت القفزات السردية والخلاصات بشكل ملفت، فالأسلوب الذي طبعها لا يختلف عن بعض الأساليب الصحفية التي تنتقل بسرعة ومشهديّة سريعة لتحقيق هدف التبليغ في أسرع وقت، وبأقصى درجات التأثير عبر شحن العبارات والأحداث للإثارة وهو ما زاد زخمها وشحنها لتكون أكثر مقبولية لدى الجميع.

من خلال بنية الفضاء الجغرافي الواقعي والمتخيّل وتناسبهما في أعمال الزاوي تظهر قدرة الروائي على التحكم في تقنياته السردية وتوجيهها لخدمة موضوعاته وأفكاره والتأثير في أكبر عدد ممكن من المتلقين وهذه القدرة على تطويع السرد جعلت من خطابه الروائي متميزا وقابلا لعبور الحدود والجغرافيا ومرنا أمام الترجمة ومقبولا لدى الآخر وهو ما ساهم في جعل أعمال الزاوي عالمية، كما يمكننا تتبع مختلف البنيات السردية الأخرى في رواياته ونجدها بذات التقنية العالية واللمسة الفنية الفريدة التي تمنح أعماله نفسا جماليا واضحا مما يجعلها أكثر انتشارا.

كما يمكننا تتبع بعض المظاهر المميزة في روايات الزاوي وعملت دورا مهما في جعل خطابه منفتحا على الآخر ومرغوبا فيه، وهي ظاهرة توظيف التراث التقليدي المادي، الذي يعكس مدى ثقافة الروائي بموروثه التقليدي الذي يحاول تقديمه للآخر ليتعرّف على موروثنا المادي والمعنوي، ومن عيّنات هذا التوظيف نجد أسماء لبعض الأفرشة **كالهيدورة** مثلا وهي عبارة عن جلد خروف العيد ونجدها في السماء الثامنة حيث عبّر بها الأخضر وهو أحد الشخصيات الفرعية لما أراد وصف اللحظات الأخيرة لأمه وهي في فضاء البيت "تربّعت هي على الهيدورة في الأرض"[52]، كذلك نجده يوظف كلمة **المطمورة** وهي المكان/الفضاء المخصّص لتخزين التمر والشعير والقمح وغيرها من المحاصيل وهي معروفة في مختلف المناطق الجزائرية، ومن عيّنات ذكرها في رواية الرعشة لما عبّر عن المكان

الذي خبأ فيه الوالد المخطوطات "كان يصنف المخطوطات في أكياسها ليطمر الكل في مطمورة..."[53]، كذلك نجده يوظف عدة أسماء لألبسة وأفرشة وأشياء مختلفة **كاللباس الندرومي وأكلة المنسوف، والجلابة والمجبودو الدرازة والخبز المخلّع وشحمه** كقول مصطفى واصفا جسد حليمة في السماء الثامنة : "كان هو الآخر ذائبا كشحم الخبز المخلع"[54]، وعبر هذه العيّنات يظهر التفاعل الكبير بين الخطاب الروائي وما يحمل من أبعاد والثقافة الشعبية ومتعلقاتها المادية، فشخصيات الروايات نابعة من عمق المجتمع الجزائري على اختلاف أطيافه ومستوياته وأعرافه، فجاءت بناء على ذلك الفضاءات ومختلف ما حملت مرتبطة بتلك الشخصيات ارتباطا واقعيا جعلنا نقرأ ونشاهد مشاهد حية عن واقعنا الجزائري في فترات مختلفة، وهذا زاد من زخم الخطاب الروائي وجعله أكثر تأثيرا وملاصقة للمتلقي الذي يعايش مختلف المشاهد، ومن جهة أخرى يقدّم صورة جميلة عن تراثنا للآخر، بهذا تظهر العالمية عبر توظيف هذا التراث وتعالق الكاتب به،فالعالمية ميزة تنبع من المحلية وعلاقة الكاتب بالمكان والثقافة التي ينبع منها، وعبر هذا الارتباط يرتقي الأدب ويصل إلى العالمية وينتشر في العالم أجمع[55]. بهذا يتضح أن الروائي طرق عدة أبواب ليصل خطابه للعالمية فانطلق من تراثه وناقش تاريخه بجرأة وأثار القضايا الإنسانية ودعا للتعايش بين الحضارات والأديان، ليعمل كل ذلك على توسيع دائرة مقروئية أعماله وقابليتها للترجمة والتأثير في الآخر وهو ما حقق الانتشار المكاني وأتاح للعمل مقاومة الزمن بفنية عالية محققا العالمية في التقنيات والطرح الإنساني.

3-خلاصة:

انطلاقا مما تقدّم نخلص أن الزاوي بلغ العالمية في أعماله من خلال عدة وسائل متعالقة ومتشابكة أهمها القيم الإنسانية المشتركة التي ناقشها، وكتابته بلغة أخرى وترجمة أعماله ومناقشته لحوار الثقافات وتعايش الأديان، كما ساهمت دور النشر والمؤسسات العلمية في الترويج لرواياته التي نادت بالقيم الإنسانية التي تهم كل البشر وهذا في زمن التخندق والتحزّب، فمهمة الرواية في نظره هي الدفاع عن الحرية الفردية.. هي تكريس ثقافة النقد عند القارئ، وهي مقاومة الممنوع الساكن في الذات العربية، هي إدانة وفضح المقموع في الثقافة العربية.. أو كما يقول: أنا لا أكتب بكمامة على فمي، ولا أنتظر جائزة إلا جائزة القارئ، حتى ذلك الذي يختلف معي، ولا أهادن جهة حتى ولو كانت أسرتي أو بلدي حين يتصل الأمر بحرية الرأي وبحرية الخيال♦. فالرؤية الأكثر إنسانية التي ينطلق منها والعالمية في التصوّر ودفاعه عن الحريةتسمح بكسر الحدود والتعايش السلمي وقبول الآخر مهما اختلف معنا مما يحقق الرخاء للجميع، فما نحتاجه يمتلكه الآخر في حين ما يحتاجه نمتلكه –نحن- ويمكننا أن نتبادل المنافع عبر الحوار والمثاقفة دون رؤية دونية ولا استعلائية، وهذا ما حاولت روايات الزاوي تقديمه مما جعلها أكثر عالمية ومقبولية لدى الآخر على اختلافه معنا. كما نشير في الأخير أن الروائي يحقق اليوم تلوى الآخر انتصارات كثيرة على مستوى الانتشار باللغة العربية أو الفرنسية أو الترجمة، ليصل برواياته إلى مصاف العالمية ويرتّب مع أشهر الروائيين في العالم، وهذا لم يتأت له إلا من خلال جهد كبير ومواظبة مستمرة على طرْق القضايا الإنسانية بجرأة عبر تقنيات جمالية وفنية فذة مكّنت خطابه من الانتشار والتغلغل في وجدان الآخر.

الإحالات:

*تم اختيار عينة من روايات الزاوي وهي: السماء الثامنة، والرعشة، و شارع إبليس، وحادي التيوس،و.. لها سرّ النّحلة، وهي روايات تنتمي لمراحل متفاوتة في تجربة الروائي، كما تعالج موضوعات مختلفة رغم تقاطعها في عدة مسائل.

[1] ينظر، دانييل هنري باجو، الأدب العام والمقارن، ترجمة غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب-سوريا، دط، دت، ص 29.

** لن نعرض الاختلافات في مفهوم الأدب العالمي ونكتفي بالشائع منها والأكثر توافقا بين الدارسين.

[2]ينظر، رينيه ويليك، أوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1987م، ص 51.

[3] ينظر مقال لـــ: فائزة لولو بعنوان: العالمية وإشكالية مقاييس الآثار الخالدة، مجلة دليل الكتاب، موقع/www.dalilalkitab.net بدون تاريخ.

[4]أمين الزاوي، رواية السماء الثامنة، دار الحداثة بيروت لبنان، مكتبة مدبولي، ط1، 2008. ص 138، ص 139.

[5]أمين الزاوي، .. لها سرّ النّحلة، منشورات ضفاف، بيروت/لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1433هـــ/2012م.ص 79.

[6] المصدر نفسه، ص 83.

[7]أمين الزاوي، السماء الثامنة، ص 141.

[8] أمين الزاوي، ..لها سر النحلة، ص 35.

[***] الأخوات لأب واحد وأمين مختلفتين، لكن حدث خطأ في الرواية فقد تم تقديمهن على أنهن لأم واحدة وأبوين مختلفين، والمتتبع لتفاصيل أحداث الرواية يكتشف الخطأ بين الصفحات 13- 25-27-28-35- من الرواية.

[9]أمين الزاوي، حادي التيوس، أو فتنة النفوس لعذارى النصارى والمجوس، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1432هـــ/2011م، ص13.

[10]أمين الزاوي، حادي التيوس، ص 20.

[11]المصدر نفسه، ص 23.

[12]المصدر نفسه، ص 22.

[13]المصدر نفسه، ص 48.

[14]المصدر نفسه، ص 56.

[15]المصدر نفسه، ص 82.

[16]المصدر نفسه، ص 107.

[17] أمين الزاوي، ..لها سر النحلة، ص 27.

[18]عماد الدين خليل، حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، دار ابن كثير، دمشق- بيروت/ لبنان ط1، 1426هـــ، 2005م، ص 83.

[19] أمين الزاوي، السماء الثامنة، ص 33.

[20]سعيدبنكَراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص 119.

[21]أمين الزاوي، السماء الثامنة، ص 32.

[22]المصدر نفسه، ص 39.

[23]أمين الزاوي، الرعشة، امرأة وسط الروح.. وحكاية أطراف الريح، رواية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 1426هـــ/2005م.ص 109.

[24]المصدر نفسه، ص 109.

[25]المصدر نفسه، ص 120.

[26]المصدر نفسه، ص 125.

[27]المصدر نفسه، ص 55.

[28]أمين الزاوي، شارع إبليس، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1430هـــ/2009م.ص 35.

[29]أمين الزاوي، حادي التيوس، ص 26.

[30] ينظر، محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، دراسة في الملحمة الروائية (مدارات الشرق)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2008م. ص 113.

[31]أمين الزاوي، حادي التيوس، ص130.

[32]المصدر نفسه، ص 130.

[33] أمين الزاوي، السماء الثامنة، ص، 11.

[34] فخري صالح، في الرواية العربية الجديدة، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1430هـ/2009م، ص 177.

[35] فتحيبوخالفة، شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1431هـ، 2010م، ص 149.

[36] أمين الزاوي، السماء الثامنة، ص 10، ص 157.

[37]المصدر نفسه، ص 24.

[38] ينظر، المصدر نفسه، ص 22.

[39]أمين الزاوي، حادي التيوس، ص 56.

[40]المصدر نفسه، ص 55.

[41]أمين الزاوي، السماء الثامنة، ص 59.

[42]أمين الزاوي، حادي التيوس، ص 57.

[43]أمين الزاوي، الرعشة، ص 16.

[44] أمين الزاوي، شارع إبليس، ص 147.

[45]المصدر نفسه، ص 35.

[46]ينظر، أمين الزاوي، السماء الثامنة، ص 57.

[47]عبده عبود، هجرة النصوص، دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي، اتحاد الكتاب العرب/سوريا، دط، 1995م، ص 12.

[48]ينظر مقال في جريدة الكومبسبقلم :NizarAskar من موقع/ alkompis.se بتاريخ/28 Jul/ 2013

[49]ينظر، مقال بصحيفة: قاب قوسين، من موقع: www.qabaqaosayn.com، بتاريخ:11/07/2012.

[50] ينظر موقع المترجم عبد الرحمن مزيان، أو حوار معه على موقع/ أصوات الشمال أجرته معه: جميلة طلباوي، www.aswat-elchamal.com/arنشر في الموقع بتاريخ : الخميس 6 رمضان 1430هـ الموافق لـ : 2009-08-27

♣ ينظر في تفاصيل موضوع ترجمة روايات الزاوي إلى عدة حوارات أجريت معه منها في موقع أصوات الشمال، www.aswat-elchamal.com/ar حيث أجرى معه الحوار حسان مرابط، نشر في الموقع بتاريخ : الجمعة 24 جمادى الأول 1434هـ الموافق لـ : 2013-04-05. أو حوار في جريدة الشرق الأوسط، أجرته معه في باريس: أنيسة مخالدي، بتاريخ:الأحد 30 رجب 1434 هـ 9 يونيو 2013 العدد www.archive.aawsat.com.12612

[51] ينظر، علال سنقوقة، المتخيّل والسلطة، في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2000م، ص 219.

[52] أمين الزاوي، السماء الثامنة، ص 132.

[53] أمين الزاوي، الرعشة، ص 74.

[54] أمين الزاوي، السماء الثامنة، ص 104.

[55] ينظر، ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 2002. ص188.

♦ينظر حوار مع الروائي في جريدة الشرق الأوسط، أجرته معه في باريس: أنيسة مخالدي، بتاريخ:الأحد 30 رجب 1434 هـ 9 يونيو 2013 العدد www.archive.aawsat.com.12612 .